مكانة العمل في البرزخ: دور العمل في تشكيل الهوية البرزخية للإنسان ومصيره الأخروي

لماذا يُعَدّ فهمُ مكانة العمل في البرزخ مفتاحًا لمعرفة الحقيقة الوجودية للإنسان؟

يدخل الإنسان بعد الموت عالمًا جديدًا ومختلفًا يُسمّى *البرزخ*؛ مرحلةً فاصلة بين الدنيا والآخرة، تنكشف فيها الحقيقة الباطنية للإنسان بلا حجاب ولا ستر. غير أنّ السؤال الجوهري هو: من أين تتكوّن هذه الحقيقة، وكيف تتشكّل؟ ما الذي يحدّد أن يواجه المرءُ في البرزخ الطمأنينةَ والنور، أو يقع في ضيق واضطراب؟ وأيّ شيء يبقى مرافقًا للإنسان في تلك المرحلة، وأيّ شيء يتركه ويفارقه؟ هل ترافقنا ثروات، ومناصب، واعتبارات دنيوية في البرزخ أيضا؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات تتبلور من خلال تحليل دقيق لدور "العمل" ومكانته في البرزخ.

بالاستناد إلى الرؤية القرآنية والأحاديث الشريفة، يُعدُّ العمل هو "المعيار الأوحد" في عالم البرزخ. فالعمل ليس مجرد سلوك عابر ينقضي بانقضاء زمنه في الدنيا، بل هو حقيقة حية مستمرة تصوغ المصير الأبدي للإنسان. إن ما يقدمه المرء من خير أو شر لا يتلاشى، بل يتجسد في البرزخ كرفيقٍ ملازم، ويتحول إلى رأس المال الحقيقي في حياة ما بعد الموت.

وفي هذا السياق، يؤكد أكابر العلماء أن "العلم والمعرفة" هما ما يصوغان روح الإنسان البرزخية، بينما يشكل "العمل" قوام الجسد البرزخي. وبعبارة أخرى، فإن أعمال الإنسان تبني له جسدًا جديداً يعيش فيه بعد رحيله؛ فإن كانت صالحة، كان الجسد البرزخي سليماً ونورانياً، وإن كانت فاسدة، غدا ذلك الجسد منبعاً للألم والشقاء. ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى دور "النية"، فهي روح العمل، بل إن نية المؤمن قد تفوق عمله، لكونها تخلق أثراً وجودياً أعمق في جوهر النفس.

من هنا، فإنّ معرفةَ مكانة العمل في البرزخ ليست بحثًا نظريًّا، بل هي قراءةٌ لمستقبلٍ محتومٍ لا مهرب لأحدٍ منه. فإذا كان البرزخُ ساحةَ انكشاف حقيقة الإنسان، فإنّ هذه الحقيقة لن تكون سوى صورةٍ متجسّدةٍ لأعماله التي اختارها في الدنيا بوعيٍ وكرّرها مرارًا. تلك الأعمال هي رصيد باق يرافقه في البرزخ بلا انقطاع، ويصوغ هويته ومصيره بعد الموت.

دور العمل في صياغة الهوية البرزخية للإنسان

يحتاج الإنسان بعد وفاته إلى رأس مالٍ باقٍ لا ينفد، وإلى رفيقٍ لا يتركه عند مفارقة الدنيا. وقد قال النبيّ الأكرم (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم): «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمالُهُ، وَعَمَلُهُ؛ فَيَرْجِعُ اثْنانِ وَيَبْقَى واحِدٌ؛ يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ.»[1] تدلّ هذه الرواية على أنّ الثروة، والأهل، والمكانة الاجتماعيّة، على عظمتها في الدنيا، لا تتجاوز بصاحبها عتبةَ الموت، ولا يكون لها وزنٌ في البرزخ. أمّا ما يبقى ويرافق الإنسان حقًّا، فهو أعمال اكتسبها بيديه في حياته الدنيويّة.

إن مكانة العمل في البرزخ تتجاوز مفهوم الجزاء الخارجي _ ثواباً أو عقاباً_ فهي حقيقة تندمج بذات الإنسان وتشكل هويته الوجودية بعد الموت. فصورتنا البرزخية ما هي إلا "تجسدٌ لأعمالنا"؛ لذا لا يُعرف المرء هناك بوجاهته أو لقبه، بل بجوهر فعله.

وقد شدّد القرآن الكريم مرارًا على هذا المبدأ: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ»[2]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان هذه الآية: «إنّ العملَ الصالح يدخل الجنّة، ويفرش لصاحبه فيها كما يُرسِل الرجلُ غُلامَه ليُهيّئ له فراشَهإِنَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَيَذْهَبُ إِلَى الْجَنَّهْ فَيَمْهَدُ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَاماً فَيَفْرُشُ لَهُ.»[3] وهذا يبرهن على أن أعمالنا ليست أحداثًا تنتظر الجزاء فحسب، بل هي التي تصمم مسبقاً فضاءنا البرزخي وتحدد مستويات الراحة أو العناء فيه.

وفي هذا الصدد، يشير العلامة حسن زاده آملي إلى أن العلم هو المشخص للروح الإنسانية، والعمل هو المشخص للبدن الإنساني في النشآت الأخروية؛[4] فكما أن البدن الدنيوي يُبنى بالغذاء، فإن البدن البرزخي هو نتاجٌ مباشر للأعمال. وإذا أردنا تقريب الصورة، فإن سلوكياتنا في الدنيا تصنع "شخصيتنا الاعتبارية"، فمن يصدق يُعرف بالصادق ومن يكذب يُعرف بالكاذب؛ أما في البرزخ، فإن هذا الانعكاس لا يبقى اعتبارياً

---

[1] يَتبَعُ المَيّتَ ثلاثةٌ: أهلُهُ و مالُهُ و عمَلُهُ فيَرجِعُ اثنانِ و يَبقى واحِدٌ يَرجِعُ أهلُهُ و مالُهُ و يَبقى عَمَلُهُ؛ المتقى الهندى، على بن حسام الدين، كنز العمّال في سنن الاقوال و الافعال، محقق بكرى حيانى، صفوه السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ۱۴۰۱ق، ج ۱۵، ص ۶۹۰

[2] وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ؛ سورة الروم، الآية ۴۴

[3] إِنَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَيَذْهَبُ إِلَى الْجَنَّهْ فَيَمْهَدُ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَاماً فَيَفْرُشُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَات فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ؛ بحار الأنوار - ط مؤسسةالوفاء، المجلسى، ج ۸، ص ۱۹۷

[4] اتحاد العاقل والمعقول، حسنزاده الآملي، ص ۴۰

بل يتحول إلى "حقيقة وجودية" وملامح واقعية تُعرف بها النفس. وهكذا يتبيّن أن دور العمل في البرزخ دورٌ تكوينيٌّ وجوديٌّ لا ينفصل عن ذات الإنسان.

أثر العلم والنية الخالصة في جودة العمل البرزخي

لا يكتسب العملُ قيمتَه واتّجاهه الحقيقيّ إلا إذا اقترن بعنصرين أساسيّين: العِلم و النيّة. وقد بيّنت تعاليم دينيّة أنّ هذين الركنين هما أساسُ جودة العمل وميزان قبوله. فالعمل من دون علمٍ عملٌ أعمى، ومن دون نيّةٍ خالصةٍ عملٌ أجوف فاقد الروح. وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الْعِلْمُ قَائِدٌ وَ الْعَمَلُ سَائِقٌ».[٥] أي أنّ العلم يُرشد الإنسان إلى الطريق الصحيح، أمّا العمل فهو ما يدفعه إلى التحقّق والاكتمال.

من منظور القرآن والروايات، تبنى هوية الإنسان البرزخية على أعماله، لكنّ القيمة ليست في كمّ العمل فحسب، بل في كيفيّته أيضًا. وجودُ النية، ودرجةُ الإخلاص، ونوعيّةُ وعي يصدر عنه العمل، كلّها عناصر تُحدّد أثر العمل في البرزخ. وقد قال النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إِنَّ نِيَّةَ اَلْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ.»[٦] فالنيّة الخالصة، حتى إذا لم تكتمل في صورة عملٍ خارجيّ، تترك بصمتها الوجودية في روح الإنسان، وتظهر في البرزخ كرأسمال باقٍ. وعلى العكس، فإنّ العمل الممزوج بالرياء وإن بدا حسنًا في ظاهره، فهو فارغُ المضمون، ويتحوّل في البرزخ إلى مصدر ضيقٍ وألم؛ لذلك فإنّ موقع العمل في البرزخ لا يُقاس بالصورة، بل بالروح التي يحملها.

وثمّة بُعدٌ آخر لجودة العمل، وهو امتدادُ أثره بعد الموت. فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إِإِذَا مَاتَ اَلرَّجُلُ اِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ وَ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ.»[٧] وهذا يدلّ على أنّ بعض الأعمال تمتدّ آثارها إلى ما بعد العمر الدنيويّ، وتبقى في البرزخ رأسَ مالٍ حيًّا لصاحبها، يضيف إلى حسناته ويزيد من نور وجوده. إنّ امتدادَ الأثر هو ما يجعل العملَ الصالح استثمارًا أبديًّا لا يَبلى.

مستقبلنا البرزخي رهينٌ حاضرنا الدنيوي؛ فما نزرعه اليوم من سلوك، نحصده غداً كواقعٍ ملموس في حياة

---

[٥] الْعِلْمُ قَائِدٌ وَ الْعَمَلُ سَائِقٌ؛ ابن‌شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٣٥٥

[٦] أَنَّ نِيَّةَ اَلْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ؛ المجلسى، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، بيروت_لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج ٦٧، ص ٢١٢

[٧] إِذَا مَاتَ اَلرَّجُلُ اِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ وَ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ؛ الديلمي، حسن بن محمد، ارشادالقلوب، ج ١، ص ١٤

البرزخ. إن الثروات، والمكانة الاجتماعية، وسائر التعلقات المادية تلازم المرء حتى عتبة الموت فحسب، بينما تظل الأعمال والنيات هي رفيق أبدي وظهير لا يغيب. لذا، فإن مقتضى الحكمة يوجب على الإنسان العناية الفائقة بكيفية عمله وجوهر قصده؛ إذ تمثل هذه الأعمال رأس المال الحقيقي المستدام، بعيداً عن أعراض الدنيا الزائلة التي تبدو براقة في العيون، لكنها تنعدم أثراً وقيمةً في عالم البرزخ.

وانطلاقاً من المحورية الوجودية للعمل في تلك النشأة، برأيكم: أيُّ أعمال صالحة تمتلك أثرا أبقى في بناء الهوية البرزخية؟ وما هي ممارسات تشكل الذخيرة الحقيقية للإنسان في رحلته الخالدة؟

شاركونا رؤاكم وتأملاتكم.